



Uluslararası Sempozyum

International Symposium

المؤتمر العالمي

3-5 Ekim - October 2004 Istanbul / Turkey

٣-٥/١٠/٢٠٠٤ استانبول - تركيا

المؤتمر العالمي السابع  
لبديع الزمان سعيد النورسي

# ممارسة حياة ايمانية فاعلة

في سلام ووثام في عالم متعدد الثقافات  
من خلال رسائل النور

الطبعة الأولى

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

Ekim 2004

الترقيم الدولي

ISBN: 975-269-043-2

شركة نسل للطبع والنشر والتوزيع

# الغاية من الحياة

كما أوضحتها رسائل النور

د. عبد الله الخطيب

أستاذ مشارك في علوم القرآن وتفسيره

جامعة الشارقة - الشارقة ص. ب. 27272

الإمارات العربية المتحدة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه

وسلم أجمعين، وبعد

فإن الإمام بدیع الزمان سعید النورسي رحمه الله تعالى قد تناول موضوع الحياة والهدف منها تناولا فريدا، فهو يعتبر الحياة مظهرا لقدرة الله تعالى وعظمته وسرا من أسرار الخلق، الذي وضع الله تعالى فيها أسرارها (قل الروح من أمر ربي)، وكذلك فالحياة هي المحور الذي تتعلق بها كل الأمور من رزق وغيره، ولا حياة حقيقية للإنسان إلا بمعرفة الله تعالى وحبه والتقرب إليه، وهذا هو الهدف الرئيس من الحياة، أن تعبد الله تعالى وترى نفسك مظهرا لتجليات القدرة والعلم والحكمة الإلهية وغيرها من الأسماء الحسنى المتجلية على الإنسان والكون.

إذا عرفت ذلك وتذوقته عرفت لذة الحياة ومعناها الحقيقي، وكنت بذلك إنسانا حقيقيا، (والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر).

أما الإنسان الذي لم يعرف ربه وعاش في الدنيا للدنيا وغفل عن الآخرة ولم يعرف الهدف من الحياة فإن حياته شقاء في شقاء، ويعيش هذا الإنسان في حياة زائفة بفرحها ولذاتها وبهرجها إذ سرعان ما تزول اللذات وتبقى السيئات، وسرعان ما يذهب

الشباب ويأتي الشيب، وسرعان ما تنتهي حياة الإنسان ويأتي الموت الذي يخاف منه الكفار والغافلون عن الله تعالى.

إن ما تعانيه الإنسانية اليوم من شقاء هو بسبب ما أصابها من جهل بالله تعالى وابتعاد عن تعاليم السماء. ولا خروج للإنسانية من هذا المأزق إلا بالعودة إلى الله تعالى وحبّه وحب رسوله صلى الله عليه وسلم.

إن معرفة موضوع الهدف من الحياة وكيف تناوله الإمام النورسي لشيء مهم. وتتناول هذه الورقة هذا الموضوع من جوانب عديدة:

### 1-تعريف الحياة.

2-أهمية الحياة وخصائصها.

3- مقارنة بين نظرة المؤمن للهدف من الحياة ، وبين نظرة الكافر للحياة الدنيا

4- الإنسان في المذاهب والفلسفات المعاصرة:

5-الإنسان في القرآن:

6- مقارنة بين حكمة الإسلام وحكمة الفلسفة في النظر إلى الحياة الدنيا:

الخاتمة..

أولاً: تعريف الحياة:

يقول الراغب الأصفهاني إن الحياة تستعمل على أوجه: 1-القوة النامية الموجودة في النبات والحيوان، 2-القوة الحساسة، وبه سمي الحيوان حيواناً،<sup>1</sup> أو: هي صفة توجب للموصوف بها أن يعلم ويقدر،<sup>2</sup> 3-القوة العاملة العاقلة قال الله تعالى: (أومن كان ميتاً فأحييناه)، 4-الحياة الأخروية الأبدية السرمدية، قال الله تعالى: (يا ليتني قدمت لحياتي) يعني بها الحياة الأخروية الدائمة، وهذه الحياة في مقابل الحياة الدنيا، قال الله تعالى: (وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع). 5-الحياة التي يوصف بها الباري سبحانه ، فإذا قيل فيه تعالى: "هو حي"، فمعناه لا يصح عليه الموت، وليس ذلك إلا لله عز وجل،<sup>3</sup> (الله لا إله إلا هو الحي القيوم).

### ثانيا : أهمية الحياة وخصائصها:

يحدد الإمام النورسي في النكتة الخامسة من اللمعة الثلاثين تعريف الحياة وماهيتها وغايتها وخصائصها فيقول:

"الحياة هي لهذه الكائنات: أهمُّ غاية، وأعظمُ نتيجة، وأسطع نور، وألطفُ خميرة، وأصفى خلاصة، وأكملُ ثمرة، وأسمى كمال، وأزهى جمال، وأبهى زينة، وهي سرُّ وحدتها، ورابطةُ اتحادها، ومنشأُ كمالها، وهي أبداع ذاتِ روحٍ فيها، من حيث الإتقان والماهية، وهي حقيقتها المعجزة؛ تُصيرُ أصغر مخلوق عالماً بحدِّ ذاته، وهي أروع معجزات القدرة الإلهية؛ يجعلها الكائن الحي بمثابة كَوْنٍ مصغر، فكأنها - اي الحياة - وسيلةٌ لانطواء الكائنات في ذلك الكائن الحي الصغير؛ بما تُظهر فيه ما يشبه فهرس الكون العظيم، كما تجعله في رباط وثيق مع معظم الموجودات..

وهي صنعةٌ إلهيةٌ حارقة؛ تكبِّرُ الجزء الضئيل إلى أكبر كلِّ، حتى أنها تجعل الفردَ بحكم العالم وكأنه كلي. وتُعرض الكونَ - من حيث الربوبية - في حكم الكلِّ والكلي الذي لا يقبل التجزئة والاشتراك والانقسام.

وهي أسطعُ برهانٍ ضمن ماهيات الكائنات، واثبتُه واكمله، يشهد على وجوب وجوده سبحانه، وعلى أنه "الحي القيوم" ويدل على وحدته وأحديته جل وعلا.

وهي أبلغ صورة لصنعة ربانية حكيمة - ضمن المصنوعات الإلهية - وأخفاها وأظهرها وأتمنها وازدها وأنزها وألمعها. وهي ألطف تجلٍ للرحمة الإلهية وأرقها وأدقها؛ تجعل الموجودات خادمة لها..

وهي أجمع مرآة تعكس الشؤون الإلهية للأنظار..

وهي أعجوبة الخلق الربانية؛ إذ تجمع تجليات اسم "الرحمن، الرزاق، الرحيم، الكريم، الحكيم وأمثالها من الأسماء الحسنى" وتجعل الحقائق الكثيرة والمشاهدة كالرزق والحكمة والعناية والرحمة تابعة لها، فتقودها، مثلما هي منشأ جميع المشاعر ومعدن الحواس العامة كالبصر والسمع والشعور..

وهي ماكنة تنظيفٍ عظيمة، وجهاز استحالةٍ عجيبة في مصنع الكائنات حيث تقوم

بالتصفية والتطهير في كل نواحيه؛ فتطهر الشيء وتمنحه الرقي وتنوره، وكان الجسد الذي هو عيش الحياة - دار ضيافة لقوافل الذرات ومدرسها ومعسكرها؛ تتعلم فيه وظائفها، وتندرب على أعمالها، فتتنور وتضيء .

وهي وسيلة ينور بها الحي الحبي سبحانه عالم الدنيا المظلم الغابي السافل ويمنحه نوعاً من البقاء، ويجعله بماكنة الحياة لطيفاً مهيباً للمضي إلى العالم الباقي ..

ثم إن وجهي الحياة، أي الملك والملكوت، صافيان طاهران لا نقص فيهما، ساميان وهي - أي الحياة - مخلوق خاص متميز عن كل خلق آخر لم توضع لها الأسباب الظاهرة حجباً بينها وبين تصرفات القدرة الإلهية - كما هي في سائر الأشياء - وذلك ليكون أمر صدورها من يد القدرة الربانية مباشرة دون حجب أو وسائط، وحقيقة الحياة نورانية تتطلع إلى الأركان الإيمانية الستة وتثبتها معنى ورمزاً، أي: أنها تثبت وجود واجب الوجود سبحانه وحياته السرمدية، والدار الآخرة وحياتها الدائمة، ووجود الملائكة، وتتوجه توجهاً كاملاً إلى إثبات سائر الأركان الإيمانية وتقتضيها.

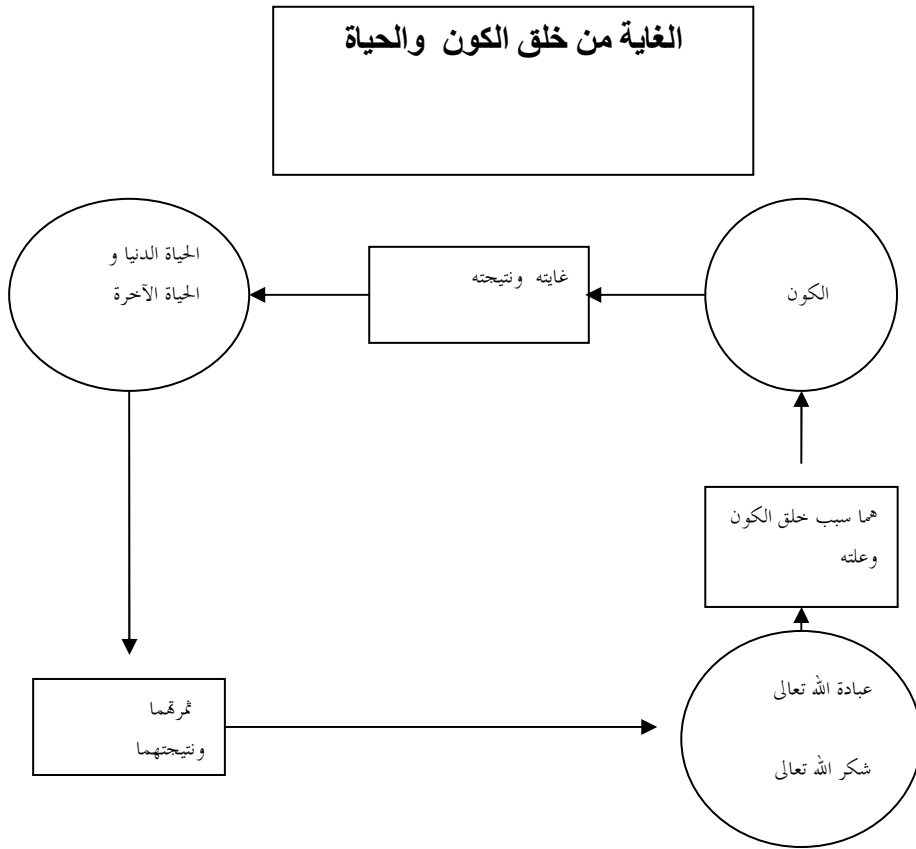
وهي أصفى خلاصة مترشحة من الكائنات كلها كما أنها أعظم سر يولد الشكر والعبادة والحمد والمحبة التي هي أهم المقاصد الإلهية في الكون وأهم نتيجة لخلق العالم هذا.

تأمل هذه الخصائص المهمة القيمة للحياة والبالغة تسعاً وعشرين خاصية، ودقق النظر في مهماتها السامية الشاملة، ثم انظر من وراء اسم المحبي إلى عظمة اسم الحي " وادرك كيف ان اسم "الحي" هو اسم الله الأعظم من حيث هذه الخصائص العظيمة للحياة، ومن حيث ثمارها ونتائجها، وافهم أيضاً ان للحياة غاية كبرى كبر الكون ونتيجة عظيمة ما دامت هي اعظم نتيجة لهذه الكائنات وأعظم غاية واثن ثمرة؟ لأن الثمرة مثلما هي نتيجة الشجرة، فنتيجة الثمرة شجرة قادمة بوساطة بذرتها".<sup>4</sup>

وبعد ذكره لهذه الخصائص يلخص نتيجة الحياة والهدف منها قائلاً: "إن غاية هذه الحياة ونتيجتها هي الحياة الابدية، كما أن ثمرة من ثمارها هي الشكر والعبادة والحمد والمحبة تجاه واهب الحياة "الحي المحبي" وإن هذا الشكر والمحبة والحمد والعبادة هي ثمرة الحياة كما أنها غاية الكائنات"،<sup>5</sup>

ويتابع كلامه عن غاية الحياة في الرمز الثالث قائلا: " الحياة هي نتيجة الكائنات، مثلما أن نتيجة الحياة هي الشكر والعبادة، فهما سبب خلق الكائنات وعلّة غايتها، ونتيجتها المقصودة. نعم، إن خالق الكون سبحانه "الحي القيوم" إذ يعرف نفسه لذوي الحياة ويحببها إليهم بنعمه التي لا تعد ولا تحصى، يطلب منهم شكرهم تجاه تلك النعم، ومحبتهم إزاء تلك المحبة، وثناءهم واستحسانهم مقابل بدائع صنعه، وطاعتهم وعبوديتهم تجاه اوامره الربانية.

فيكون الشكر والعبادة - حسب سرّ الربوبية هذا - اعظم غاية لجميع انواع الحياة، وبدورها يكون غاية الكون بأسره".<sup>6</sup> ويمكننا أن نستنتج من كلام الإمام النورسي المعادلة التالية حسب الرسم البياني:



### ثالثاً: مقارنة بين نظرة المؤمن للهدف من الحياة ، وبين نظرة الكافر للحياة الدنيا:

إن المؤمن الحقيقي الذي مدحه القرآن الكريم ينظر إلى الحياة على أنها نعمة ربانية وهدية رحمانية فيستعملها فيما خلقت من أجله، ويبيع نفسه لله فيربح ربها عظيماً، قال الله تعالى: (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة)، فالمؤمن يستعمل عقله في تأمل آيات الله في الكون وفي تسخير السنن الكون في طاعة الخالق سبحانه، وهو يدرك حقيقة استعمال آياته التي أوتمن عليها فيستعمل عينه وأذنه ويديه ورجليه في طاعة الله تعالى ورضوانه فيصير مظهراً لرضوان الله تعالى ومحبتة، كذلك يقوم المؤمن بحق الله عليه فيشكره ولا يكفره على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، ويعبده بحب وشوق إلى لقائه يوم الدين، ويرى المؤمن نفسه مظهراً لتجليات الأسماء الحسنى لله تعالى كالعليم والحكيم وغيرها من أسماء حسنى، وبذلك يقدر المؤمن قيمة الحياة ويدرك الهدف منها تأكيداً لقوله تعالى: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)، وهو بهذه العقيدة الصافية تسمو نفسه وتركو حتى يستحق الجنة العالية التي قطفها دانية ويستحق النعيم الأبدي في الحياة الحقيقية في الجنة التي من أجلها خلق الإنسان المؤمن.

أما الكافر الذي لم يدرك حقيقة الحياة وسرها وهدفها وغايتها فإنه يظن أنه خلق ليتمتع ويأكل كما تأكل الأنعام، ويظن الحياة الدنيا هي الحياة الحقيقية، فيعيش عيش رفاه وغفلة وهوى، فيستخف بنعمة الحياة وهدية الشعور وإحسان العقل، ويكفر بنعمة الحياة ويرتكب كفراناً عظيماً ويكسب إثماً مبيهاً.<sup>7</sup> وكذلك تصبح نعمة العقل وبالاً عليه لأنه لا يجد السلوان أمام المصائب الدنيوية ويستبد به القلق والخوف من المستقبل، وهو يخون الأمانة في استخدام أعضائه، فيأكل بدون قيود، وينظر من غير احتراز عن الحرام ويتكلم بما يعلم وما لا يعلم، ويرتكب جهالات كبيرة، وينكر الآخرة الحقبة فيستحق بذلك عقوبة أبدية ونار لا يصلاحها إلا الأشقى.

إن مشكلة العلوم اليوم باختصار أنها فصلت بين قراءة الكون قراءة مبنية على تعاليم السماء وأخضعها لقراءة الإنسان المتأله الجاهل (إنه كان ظلوماً جهولاً)<sup>8</sup> فكيف تعاملت العلوم المعاصرة مع أهم كائن في الحياة ألا وهو الإنسان وما هي نظرة القرآن الصحيحة لعلاقة الإنسان بهذا الكون؟...

#### رابعاً: الإنسان في المذاهب والفلسفات المعاصرة:

إن إنكار الفلسفة الأوروبية المعاصرة لتأثير الله في الكون، أو حتى وجوده قد أدت بها إلى تعريف المعرفة بأنها: "كل معلوم خرج للحس والتجربة"، وهذا هو تعريف اليونيسكو للمعرفة،<sup>9</sup> فأبعدت الخالق سبحانه وتعالى عن كونه مدرّكاً معروفاً للإنسان لأن الغيب لا يخضع للحس والتجربة وبذلك أبعدت الإنسان عن مصدر قوته وسعادته وسر وجوده ألا وهو الله تعالى. أدى ذلك إلى الإيمان - منذ ثورة كوبرنيك العلمية وحتى نيوتن - بأن الكون الذي نعيش فيه هو نظام ميكانيكي خاضع لأنظمة الطبيعة كالساعة العظمى وطريقة فهمه خاضع للتجربة والمشاهدة فقط، وأن هذا الكون حدث صدفة وما يحدث فيه صدفة وهذا ولّد نظرية داروين الذي يؤكّد نظرية الصدفة عبر تطور الأنواع فلا يوجد في الكون شيء غيبي، والإنسان وجد صدفة في الكون لا خالق له فهو قد تطور كغيره من الجينات والحيوانات، والمشتغلون بالعلوم الحديثة يرون أن الإنسان ما هو إلا كائن مادي لا يخرج عن كونه امتداداً للظواهر الطبيعية الأخرى، فهو آلة منتظمة وحيوان مدفوع بغرائزه.

والإنسان في الماركسية ما هو إلا نتاج المادة فكراً وسلوكاً وتاريخاً وحلقة من حلقات الصراع في هذا الكون. والإنسان عند الفرويدية تسيطر عليه غريزة الجنس فهي أم الغرائز ويتكيف السلوك البشري بناءً عليها من المهد إلى اللحد. والوجودية بنت نظريتها على حرية الإنسان المطلقة وأعلنت موت الإله. والمذهب البرغماتي يرى أن الإنسان كائن بيولوجي وهو عبد لمنافعه ومصالحه يتصرف بناءً لها ويكيف سلوكه وفقاً لها. وأما في المذهب الرأسمالي فالإنسان وسيلة من وسائل الإنتاج والثروة.<sup>10</sup>

وقد أدى بالفلسفة الأوروبية في غضبها على الكنيسة بأن تجعل عدو الإنسان الأول - استغفر الله ألف ألف مرة - هو الله تعالى، واشتهرت المقولة التي تنص على أن كل شيء هو فداء للإنسان وكان الله أول فدية، وأعلن بعض الفلاسفة الملحدين موت الله - استغفر الله ألف ألف مرة -، وأهت الفلسفة الأوروبية الإنسان، فالإنسان هو إله نفسه تحكمه أهواؤه ونزواته، ووصول الإنسان لحرته هو بقطع علاقته بالله تعالى وإن غاية الإنسان الذي هو مخلوق اجتماعي أو حيوان مفكر هي البقاء على قيد الحياة في الصراع

الذي يظهر بين الأنواع وفق قوانين الكون، وما الهدف من العلم إلا تحقيق الرفاه المادي للإنسان الذي هو حلقة دنيوية صاحبة قوى ذهنية.<sup>11</sup>

أدت هذه الفلسفة إلى أمراض ذريعة فتكت بالإنسان والمجتمع الإنساني.<sup>12</sup> وأدت كذلك إلى إيجاد إنسان الحضارة الغربي المنحرف، إنه إنسان مزدوج الشخصية مشتمل على ثنائية مهلكة فهو فرعون طاغية على غيره وعلى أخوانه من بني البشر والحروب العالمية شاهد مصدق لما أقول رغم دعاوى الحضارة والديموقراطية واحترام حقوق الإنسان، لكنه في التعامل مع أهوائه ذليل ذلة عبد وثني يرتكس في عبادة أحسن الأشياء تدمره المخدرات، ويصرعه الإيدز، ويموت مجاناً تحت عجلات الآلة الإنتاجية الرهيبة ببطء، وتفتك به الأمراض النفسية، أو تدفعه إلى الانتحار السريع، إنه إنسان متمرد على الوجود الجميل وخالفه الجميل الجليل ينكر قدرته وعظمته وجماله الظاهر في الكون، ولكنه مسكين عاكف على محراب لذائذه القاتلة، فهو لأجل لذة تافهة يقبل قدم الشيطان بوعي منه أو بغير وعي، يسجد لأصنام المال والجنس، ولكون هذا الإنسان فارغاً من الإيمان والتوحيد والنظرة الصحيحة إلى الكون والحياة وغاياتها فإنه يشعر بعجز ذاتي أصيل يدفعه إلى إملاء النقص ومعالجة مركبة بالتجبر على الآخرين، والثورة على الطبيعة، وقد تفتح له في الكون والحياة آفاق وحقائق مدهشة إلا أنها لا تهديه إلى الحق لأنه لا يجد مرتكراً في قلبه من الإيمان يأوي إليه.<sup>13</sup> وهذا مصداق قوله تعالى: ( لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل)<sup>14</sup>.

إنّ هذا الكفر الذي تولد من إنكار الله تعالى، يُحطّمُ الماهيةَ الإنسانيةَ ويحوّلها من الأماس إلى الفحم لأنه يقطع انتساب الإنسان لخالقه العظيم الله، ويرجع خلقه للتصادف الأعمى والطبيعة السافلة، وبذلك لا يعترف الإنسانُ بقدرة الله وعظمته المتجلية في خلقه فيقلب حقيقة وجوده الأمامي إلى زجاج يتكسر ويفنى فيهبوي إلى دركة أسفل سافلين،<sup>15</sup> التي عبّر الله عنها بقوله: ( ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا )<sup>16</sup>.

إن الكفر والعياذ بالله يخرج الإنسان من إنسانيته ويسبب له الشقاء الذي يعيشه اليوم (ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا)<sup>17</sup>، ويحمل على رأس الإنسان الضعيف

الهموم والغموم واليأس القاتل وقد اعترف كثير من الغربيين بأنهم بابتعادهم عن الأخلاقيات وعن تعاليم السماء والإيمان بالله فإن حضارتهم ساءت الإنسان للاتجار حتى قال هافل Havel: إنني اعتقد أن هذه الأزمة مرتبطة بشكل مباشر بفقدان روح الحضارة العصرية يعني فقدان القطعية الميتافيزيقية... وفقدان السيطرة الأخلاقية التي هي فوق كل شخصية...<sup>18</sup>

وإن إقصاء علماء النفس والاجتماع الغربيين للبعد الروحي والإيماني عند الإنسان أدى بهم لعدم فهم الإنسان فهما صحيحا ومن ثم تفسير بعض أنماط السلوك الإنساني والاجتماعي تفسيراً خاطئاً مما دفع بالإنسان إلى هاوية الفساد الأخلاقي بالرغم من هذا التقدم المادي الكبير.

### خامساً: الإنسان في القرآن:

لقد وضع الإسلام للإنسان تصوراً واقعياً:

- 1- خلق الله الإنسان خليفة له في الأرض لعمارها ولعبادة الله تعالى فيها، وكرمه وفضله على كثير ممن خلق تفضيلاً.
- 2- الإنسان مخلوق من عنصرين جسد من طين، وروح نورانية من أمر الله تعالى تجل في الجسد فتحياه وينتج عن اندماج الروح والجسد النفس.<sup>19</sup>
- 3- لا بد من إشباع كل من حاجات الجسد والروح (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا)<sup>20</sup>.
- 4- لا يطمئن الإنسان في الحياة إلا بمعرفة الله تعالى الخالق الواحد الأحد الصمد. وبدون معرفته تتولد الأمراض الاجتماعية والنفسية، قال الله تعالى: (ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً)<sup>21</sup>، وهذا كما ينطبق على الأفراد فإنه كذلك ينطبق على الجماعات.
- 5- الإنسان لديه استعداد بأن يرقى إلى أعلى عليين بإيمانه بالله تعالى واتباعه لأوامره عز وجل، أو بأن ينزل إلى دركة أسفل سافلين بالكفر واتباعه للباطل، قال تعالى: (والعصر . إن الإنسان لفي خسر . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا

بالحق وتواصوا بالصبر)، وقال أيضا: ( لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم . ثم رددناه أسفل سافلين . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ).

فالإسلام ربي إنسانه المتحضر على الشكل التالي:

"المؤمن راقى الأخلاق هيناً ليناً، ذو كرامة موفورة وعزة إيمانية فهو لا يسجد إلا لله ولا يخضع إلا له، أما الشهوات فلا تؤثر فيه ولا يعبدها وهو في منظوره الاجتماعي والكوني رحب الصدر لأنه يشعر أن: جميع عباد الله الصالحين في الأرض والسموات إخوان له، ويشعر من أعماق روحه بأواصر تشده إليهم"<sup>22</sup> وهو مطمئن لا تهزمه الحن ولا الابتلاءات لأنه يواجهها بالصبر والإيمان الخالص. إن الإنسان كما يعرفه القرآن هو:

حائمة ثمرات شجرة الكون، وأجمع ما فيها من الصفات... وهو الآية الكونية الكبرى لقرآن الكون بل هو الآية الحاملة لتجليات الاسم الأعظم في ذلك القرآن الكوني كآية الكرسي في القرآن.. وهو خليفة الأرض.. وأنشط موظف مأذون له بالتصرف في سكنه ذلك القصر.. الحامل للأمانة الكبرى...<sup>23</sup>

وقد فتح الله أمامه طريقين إما ليرقي إلى أعلى عليين بالإيمان به أو لينزل إلى أسفل سافلين بالكفر به، هذا هو الإنسان في نظر القرآن. فشتان بين المؤمن الذي يعطي قيمة للوجود ولكل موجود وذلك بإيمانه بالخالق المبدع، وبين الكافر الذي يحقر الكائنات عندما يقول بأن الوجود صدفة وعبث، فالكافر بهذه العقيدة الفاسدة ينكر تلقائياً آثار أسماء الله الحسنى المتجلية في كل شيء من هذا الكون.<sup>24</sup>

ومما سبق يتبين أنه لا يمكن بأي حال فهم الإنسان أو تفسير سلوكه في حياته الفردية والاجتماعية إلا في ضوء ذلك البعد الروحي المتصل بوعي الإنسان بوجود ربه ومليكه، ومعرفته بصفات الخالق وأسمائه وكمالاته.. وما يترتب على ذلك من ارتباطه بالله عز وجل، فهذا البعد الروحي هو الذي يعطي حياة الإنسان معناها الحقيقي.<sup>25</sup> وهذا البعد الروحي هو الذي يعيننا على وضع الحلول المناسبة للمشكلات الاجتماعية والنفسية التي يعاني منها الإنسان اليوم.

وبهذه النظرة الثاقبة للإنسان التي أكدها الإمام النورسي في رسائل النور فإنه وضع النقاط على الحروف، وأوضح الحل الناجع للإنسانية اليوم كي تخرج من مأزقها الذي

وقعت فيه بسبب الابتعاد عن منهج الحق، منهج الله تعالى الذي بينه الرسول صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني..).

إن موضوع الحياة واسع في رسائل النور، وليس الهدف من هذا البحث هو تفصي كل الموضوعات التي تكلم عنها الإمام النورسي عن الحياة وإنما نشير إلى بعض القضايا الهامة في هذه الرسائل تفرد بها الإمام النورسي، وأبدع رحمه الله تعالى فيها. ومن هذه الأمور:

**أن الحياة تدل على الأركان الستة:** الإيمان بالله تعالى والملائكة والبعث والرسول والكتب والقدر.<sup>26</sup> فإذا كانت الحياة هي نتيجة الكائنات وحكمة خلقتها، فإنها لا تنحصر في هذه الحياة الدنيا الأليمة الناقصة والقصيرة الفانية، بل إن غاية شجرة الحياة ذات الخواص التسع والعشرين السابقة، وثمرتها اللائقة بعظمتها هي الحياة الأبدية الأخروية في دار السعادة الحية بأحجارها وأشجارها وتراجمها، فالإيمان باليوم الآخر يعطي الإنسان الطمأنينة ويمده بالقوة اللازمة لتحمل أعباء الحياة، والطمع برحمة الله وعدله لأنه وحده هو مالك يوم الدين، فهو الذي يعفو عن المذنبين، ويقتص من المعتدين. أما غير المؤمنين فإنهم عن الآخرة غافلون، ولا يعلمون إلا ظاهرا من الحياة الدنيا، فياكلون ويتمتعون كما تأكل الأنعام ويستلذون بالحياة من دون شكر المنعم وبذلك يرتكبون ذنبا لا يغفر وكفرانا عظيما أما المنعم الحقيقي والخالق الواحد الأحد سبحانه، وبذلك يسقط معنى الحياة، وتصير الحياة لا هدف ولا غاية لها، مع أن الدلائل العقلية والشرعية تدل على أن كل شيء في الحياة يسير نحو هدف محدد، ويحقق هدفا مرسوما ومقدرا من القدير العليم، فتعسا لمن غابت عنه هذه الحكم ولم يتذوق لذاتها ولم يدرك مغازيها، ولهذا فإن الكافر يوم الدين يكون حاله: (يوم يعرض الظالم على يديه يقول يال ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا ) ، أما المؤمن الذي أدرك معنى الحياة وهدفها فشكر وعبد بحمبة ورهبة فجزاؤه أنه يؤتى كتابه بيمينه وينقلب إلى أهله مسرورا لأنه آمن بالحساب فلم يسرف ولم يعتد على حرمت الله تعالى ويكون مصيره جنات عدن التي تجري من تحتها الأنهار والتي وعد الرحمن عباده المتقين.

ويصل الإمام النورسي في نهاية الرمز الرابع إلى الحقيقة الرائعة التي قرر فيها بأن الوحي القرآني والرسالة المحمدية هما روح الحياة وعقلها، "وإن حياة محمد صلى الله عليه وسلم -المادية والمعنوية- بشهادة آثارها حياة حياة الكون، والرسالة المحمدية شعور لشعور الكون ونور له، والوحي القرآني -بشهادة حقائقه الحيوية- روح حياة الكون وعقل لشعوره... فإذا ما فارق نور الرسالة المحمدية الكون وغادره مات الكون وتوفيت الكائنات، وإذا ما غاب القرآن وفارق الكون جن جنونه وفقدت الكرة الأرضية صوابها، وزال عقلها، وظلت دون شعور، واصطدمت بإحدى سيارات الفضاء وقامت القيامة".<sup>27</sup> هذه حقيقة لا يمكن إنكارها، ولكن الكافرين عنها غافلون، ولو علموا ما في الإسلام من رحمة وهدى وطمأنينة للنفس وللمجتمع لاعتقوه وبدلوا من أجله الغالي والرخيص، ولو علموا ما في الإسلام من رحمة وسلام لما أهملوه بالحث على الإرهاب ولما أهملوا أتباعه بالتطرف والعنف وغيرها من أمور، قال الله تعالى: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)، والتاريخ خير شاهد على الرحمة التي تضمنتها الرسالة الإسلامية للناس أجمعين. فالله أحينا مسلمين وأمتنا مسلمين، وابعثنا مسلمين، والحمد لله رب العالمين.

ويختتم الإمام النورسي كلامه عن الحياة في الرمز الخامس من اللمعة النكتة الخامسة في اللمعة الثلاثين، ويركز على كيفية دلالة الحياة على وحدانية الله تعالى وأحديته، وكيف أن الحياة لها من الجامعة بحيث تعرض في نفسها أغلب السماء الإلهية الحسنى المتجلية على الكائنات كلها وكأنها مرآة جامعة تعكس الأحدية.<sup>28</sup>

#### سادسا: مقارنة بين حكمة الإسلام وحكمة الفلسفة في النظر إلى الحياة الدنيا:

إن الإسلام الدين الكامل هو الدين الحق، وإن مبادئه أتت من الأزل لتذهب إلى الأبد، وإن قوانينه تشب وتزداد نضارة كلما شاب الزمان، وفي الإسلام مبادئ وقوانين تجعله الدين المهيمن على كل الأديان المعاصرة والمذاهب الفلسفية والفكرية الإنسانية المعاصرة. وفي المقابل فإن قوانين الفلسفة الغربية التي تعتمد عليها الحضارة الغربية اليوم فيها نقص وتناقض وتعارض، ولهذا السبب فقد سببت الشقاء للبشر بالرغم من تفوقها المادي والتكنولوجي، وحرمتهم الراحة والطمأنينة، وولدت لهم الفراعنة والجبابرة،

وجعلت من دولهم دولا لا تعترف بحقوق الإنسان الذي لا ينتمي لبشرتهم أو دينهم، وللأسف.

وقد عقد الإمام النورسي مقارنة بين قوانين المدنية الحديثة وقوانين الإسلام الخالدة السامية وبرهن أن قوانين الإسلام فيها توافق تام مع متطلبات النفس الإنسانية والمجتمع البشري والفطرة التي فطر الله الناس عليها، ولهذا السبب بقي الإسلام كدين تدين به خمس البشر على مر الأزمنة والأيام، وسيبقى على أن تقوم الساعة.<sup>29</sup> وكذلك عقد الإمام النورسي مقارنة رائعة بين حكمة القرآن وكيف تنظر للكون والدينا، وبين الفلسفة وكيف تنظر للكون والدينا وخلص إلى هذه الخلاصة التالية وهي:

1- ان فلسفة البشر وحكمته تنظر إلى الدنيا على أنها: ثابتة دائمة، فتذكر ماهية الموجودات وخواصها ذكراً مفصلاً مسهباً، بينما لو ذكرت وظائف تلك الموجودات الدالة على صانعها فانها تذكرها ذكراً مجملاً مقتضباً. أي أنها تفصل في ذكر نقوش كتاب الكون وحروفه، في حين لا تعير معناه ومغزاه اهتماماً كبيراً.

أما القرآن الكريم فانه ينظر إلى الدنيا، على أنها: عابرة سيّالة، خداعة سيّارة، متقلبة لا قرار لها ولا ثبات، لذا يذكر خواص الموجودات وماهياتها المادية الظاهرة ذكراً مجملاً مقتضباً، بينما يفصل تفصيلاً كاملاً لدى بيانه وظائفها التي تنم عن عبوديتها التي اناطها بها الصانع الجليل، ولدى بيانه مدى انقياد الموجودات للأوامر التكوينية الإلهية، وكيف وبأي وجه من وجوهها تدل على أسماء صانعها الحسني.

2- إن القرآن الكريم بجميع آياته المتوجهة للكون (اي الآيات الكونية) يكشف عن حقيقة الدنيا كما هي، ويبيّن لها لانظار. ويصرف نظر الانسان ببيانه إلى مدى دمامة وجه الدنيا القبيح وفنائها بآيات مثل قوله تعالى: (اذا السماء انفطرت...) (اذا الشمس كوّرت...) (اذا السماء انشقت...) (ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض إلاّ من شاء الله...) (الزمر: 68) - ليتوجه إلى الوجه الصبوح الجميل للدنيا الجميلة، ذلك الوجه المتوجه إلى الصانع الجليل. فيوجه نظر الانسان إلى هذا الوجه، ملقناً اياه الحكمة الصائبة والفلسفة الحقّة بما يعلمه من معاني كتاب الكون الكبير مع التفاته إلى حروفه ونقوشه، من دون ان يبذل جهوده فيما لا يعنيه من امور نقوش الحروف الزائلة

كما تفعله الفلسفة الثملة العاشقة للقبح، حيث أنسته النظر إلى المعنى والمغزى.

فالفلسفة السقيمة؛ بتدقيقاتها الفلسفية وتحرياتها، وبمفهوم الطبيعة المادي، وبمغريات المدنية السفهية الفاتنة، وهوساتها وعربدتها.. كثفت تلك الدنيا وزادتها صلابة وتجمداً، وعمقت الغفلة في الانسان، وضاعفت من لوثاتها وشوائبها حتى أنسته الصانع الجليل والآخرة البهيجة.<sup>30</sup>

### الخاتمة

إن الإمام النورسي رحمه الله تعالى قد أوضح إيضاحاً رائعاً معنى الحياة وقيمتها، وكذلك أوضح كما بينا الهدف الحقيقي من الحياة وأن لا حياة بدون إيمان، بل إن الهدف الحقيقي من الحياة هو بمعرفة الله تعالى. وإن المدنية الحديثة المنكرة للآخرة لم تقدم للإنسان إلا الشقاء والغفلة والسفاهة، لأن هدفها إشباع الشهوات الإنسانية وتزويد حاجات البشر، ولا يشبع الإنسان غير المؤمن من شيء.

فالحمد لله على الإسلام ونعمة الإيمان، والإسلام هو الدين الذي سيخرج الإنسانية من شقائها وغفلتها عن الله تعالى وعن الآخرة. فاللهم وفقنا لنشر القرآن ونشر انوار القرآن بكمال الرواج بين عالم الإسلام.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

### الهوامش

- 1 الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد خليل عيتاني، (بيروت: دار المعرفة، 1998/1418)، ط1، ص: 144-145.
- 2 علي بن محمد الجرجاني، كتاب التعريفات، تحقيق إبراهيم الأبياري، (بيروت: دار الكتاب العربي، 1423هـ/2002)، ط1، ص: 81.
- 3 الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص: 144-146.

- 4 سعيد النورسي، اللغات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، (القاهرة: شركة سوزلر للنشر، 1993/1413)، ط2، ص: 558-560.
- 5 المرجع السابق نفسه، ص: 560.
- 6 المرجع السابق نفسه، ص: 562.
- 7 المرجع السابق نفسه، ص: 559-560.
- 8الأحزاب: 72.
- 9طه جابر العلواني، الجمع بين القراءتين، ص: 26.
- 10بلفاسم محمد الغالي، الإنسان في نظر الإسلام، مجلة كلية أصول الدين والدعوة، الزقازيق، مصر، العدد الثامن، 1995، ص: 452 - 453.
- 11ميم كمال أوكه، بديع الزمان وأسلمة المعرفة، ص: 465 - 466.
- 12 عقد الإمام النورسي مقارنة مهمة بين الحضارة الغربية وفلسفتها، والحضارة الإسلامية وفلسفتها في كتابه المقالات، ص: 48.
- 13محمد رشدي عبيد، فكر سعيد النورسي، قراءة معاصرة، أوراق المؤتمر العالمي لبديع الزمان سعيد النورسي، (استانبول، نسل، 1996)، ط1، ص: 485.
- 14الأعراف: 179.
- 15سعيد النورسي، المقالات، ترجمة محمد زاهد الملازكردي، (بيروت، عالم الكتب، 1406 / 1985)، ط1، ص: 353.
- 16التين: 5.
- 17طه: 124.
- 18ميم كمال أوكه، بديع الزمان وأسلمة المعرفة، ص: 466.
- 19 إبراهيم عبد الواحد رجب، المنهج الإسلامي وعلاج المشكلات النفسية الاجتماعية، ص: 68.
- 20القصص: 77.
- 21طه: 124.
- 22محمد رشدي عبيد، فكر سعيد النورسي قراءة معاصرة، ص: 485.
- 23 سعيد النورسي، الشعاعات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، (القاهرة: 1414 / 1993)، ط2، ص: 272 - 273.
- 24سعيد النورسي، المقالات، ترجمة محمد زاهد الملازكردي، ص: 365.
- 25إبراهيم عبد الواحد رجب، المنهج الإسلامي وعلاج المشكلات النفسية، ص: 69.
- 26 سعيد النورسي، اللغات، ص: 563-566.
- 27 المرجع السابق نفسه، ص: 567-568.
- 28 المرجع السابق نفسه، ص: 567-568.
- 29 النورسي، الكلمات، ص: 727.
- 30 النورسي، الكلمات، ص: 510.